Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصل فيه زبانية التعذيب السياسى إلى أقصى درجات المكر والقسوة ، ويمضى محورها أيضا فى اتجاه تحول الإنسان إلى حيوان ، سواء فى ذلك الجلاد الواعى أم الضحية المقهور. ويعتمد تكنيك التعذيب على تقزيم إرادة الإنسان حتى تنهار وهو يلتصق بعالم الحشرة ليمارس معها الوصال ، لكن ضآلة الحيوان الحشرة هذه المرة قد جعلت المؤلف لا ينتقل باهتمامه إليها ، وإنما يظل مع الإنسان ، ومن ثم تنتفخ الدلالة اللاإنسانية للتعذيب، على أن مشاهد الزنزانة والعنبر والأصوات مكرورة لا تضيف جديدا للتجربة ، وإن كانت مهنة الراوى " السجين الطبيب " وزميله سُمى مدير السجن ينضحان المناخ برزاز واقعى يرطب جفاف المبالغة ، ويحدد هوامش المفارقة التى جعلت من " النكتة " قصة نافذة كطلقة الرصاص ، وصدق عليها ما يقوله أبو تمام عن الشعر : - يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة

أما القصة الأخيرة فى هذه المجموعة " أبو الرجال " فقد حاول المؤلف فيها أن يستخدم أقصى طاقته فى شد الوتر الدرامى ، وتنمية الوعى الداخلى بالذات وتفجير الصراع مع العالم ، وهى أدوات نجح يوسف إدريس من قبل فى توظيفها ، وتخليق عوالم باطنية بالغة الرهافة والعمق والشاعرية ، وكاملة الحياة ، منها ، لكنه هذه المرة يصاب بأسوأ ما يقع فيه مبدع كبير عندما يقلد نفسه ويعتمد على ماضيه الذى يتم تحويله إلي أسطورة ، فتخبو لديه الثقة فى نتائج صنعته ، فيعزف حتى عن مراجعة كتابته ، وإذا بها مفككة متناقضة ، لا ينقذها ما يبرق فى ثناياها من وميض لامع لبعض اللفتات المدهشة ، لقد أصابها الترهل والشيخوخة ، وبدلا من أن تكون نفثات الفنان بثا للروح فيها تصبح نفخا فى جلد مبقور ، بعد أن فقدت الإحكام وسرت إليها عدوى الكتابات الصحفية المستعجلة المسترسلة دون قوام التصميم والتنفيذ ، فلا يمكن مثلا أن يستقيم ليوسف إدريس البناء القصصى مع بروز بعض الزوائد السرطانية التى نكتفى بالإشارة إلى بعضها ، لأن تحليلها وبيان فضولها يحتاجان لصفحات طويلة تتجاوز المساحة المقدرة لهذه الملاحظات النقدية ، ففى الفقرة رقم ٥ فى صفحة ٨٠ من المجموعة حديث عن نهر النيل وإرادة الفلاح الرهيبة ليس هناك أدنى مجال له فى السياق ، وفى الفقرة رقم ٧ صفحة ٨٤ قفزة خرافية فى